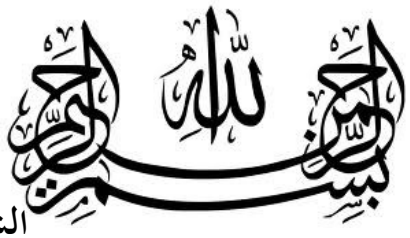

الأحد 26/1/2014 الشيخ الطبيب محمد خير الشعَّال

أبواب الفرج

واجبات الضيف والمضيف

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة، وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً وعملاً متقبلاً يا أكرم الأكرمين. أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه. نسألك علم الخائفين منك، وخوف العالمين بك.. وبعد:

هذا درس جديد في سلسلة دروس **أبواب الفرج**، ونحن نسأل اللهَ تعالى ببركة عملنا بها أن يُعجِّل لنا بالفرج وأن يجعله محفوفاً بألطافه الخفية.

إذا نزلت بالعبد نازلة، أو حلَّت به شدة، أو أحاطت به مصيبة وبلية فينبغي عليه أن يقرع باب سيده رب العالمين جل جلاله.

هذا.. وقد جعل الله لنا أبواباً للفرج يُطلب من كل واحد منا فرداً كان أو أسرة أو مجتمعاً أن يقرع هذه الأبواب كلها، فإن لم يستطع فبأكثرها، فإن لم يستطع فببعضها وعلى أقل تقدير أن يقرع باباً من هذه الأبواب.

نحن موقنون أن الفارج لهذه الأزمة هو الله لكننا أدباً مع الله نلتزم هذه الأبواب.

بدأنا في الدرس الماضي بالتكلم عن باب من أبواب الفرج وهو **الضيافة**.

يقول تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ﴾ [الذاريات: 24].

عَنْ عِكْرِمَةَ قَالَ: (**كَانَ إِبْرَاهِيمُ يُكْنَى: أَبَا الضِّيفَانِ، وَكَانَ لِقَصْرِهِ أَرْبَعَةُ أَبْوَابٍ لِكَيْ لَا يَفُوتَهُ أَحَدٌ**) [البيهقي في الشعب].

وهذه الأزمة التي نزلت بنا ألجأت أقواماً منا إلى أن ينزلوا ضيوفاً على أقوام آخرين كما ألجأت حادثة هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة أن يكونوا ضيوفاً على إخوانهم من الأنصار، وقد باهى الله تعالى في القرآن الكريم بالأنصار وبالمهاجرين في تآلفهم وتعاطفهم وتكاتفهم.

وقد جاء في الضيافة أحاديث كثيرة أشهرها:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ**» [البخاري ومسلم].

عَنْ أَبِيْ ذَرٍّ وَأَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «**الضَّيْفُ يَأْتِيْ بِرِزْقِهِ وَيَرْتَحِلُ بِذُنُوْبِ الْقَوْمِ**» [الديلمي].

وفي هذا اليوم سنتحدث عن **واجبات على الضيف وواجبات على المضيف**.

وضع الإسلام واجبات للضيف وواجبات للمضيف وحَدَّ حدوداً للضيف وحَدَّ حدوداً للمضيف وكمال سلامتنا ونجاتنا أن نلتزم بأوامر الله عز وجل في أزماتنا كما نلتزم بها في راحاتنا وسعتنا وسرورنا وهنائنا.

الواجبات على ثلاثة أقسام: منها ما هو مختص بالضيف، ومنها ما هو مختص بالمضيف، ومنها ما هو مشترك بينهما.

أولاً: واجبات مطلوبة من الضيف والمضيف:

واجبات: أي أن فاعلها يثاب وتاركها يعاقب، وهي مطلوبة من الرجال والنساء، والمسنين والشباب، والذكور والإناث.

1- غض البصر:

من أول الآداب هو أدب غض البصر عن حرمات الطرف الآخر؛ خوفاً من الله تعالى، وإكراماً لمن أَمَّنه على حرماته، خاصة وأنه مع وجود الضيوف المشتركين مع بعضهم البعض ربما ظهرت حرمات أو كشفت أستار أو بدت نساء أو ظهر شيء من الرجال.

أرسل الله إلينا رسالة مع أفضل ملائكته سيدنا جبريل عن طريق أفضل مخلوقاته سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ليقول لنا فيها نحن المؤمنين: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [النور: 30].

اطلعت على مجموعة من قوانين الدنيا في بلاد عربية وغربية، إسلامية وغير إسلامية فما وجدت قانوناً في الدنيا يضبط أحكاماً للنظر إلا قانون الإسلام.

باستطاعتي أن أضبط سيارتك لتمشي في الشارع المخصص لها، وأن أمنعها من أن تمشي في شوارع غير مخصصة لها، وبإمكاني أن أضبط محلاً تجارياً ليفتح في ساعة معينة ويغلق بأخرى، وبإمكاني أن أضبط الأبناء للالتحاق بالتعليم الإلزامي، وعدم التسرب المدرسي، وبإمكاني إصدار

قانون خاص بالعمل، وبالتعليم العالي، وللتأمينات المعاشية، وتعويضات نهاية الخدمة... لكن أي قانون في الأرض يستطيع أن يضبط عينَي الإنسان؟!

لا يوجد قانون في الأرض يجَرِّم أو يعاقب أو يحاسب على نظرة العين ووحده قانون رب العالمين في القرآن الكريم وضع في قلب كل مؤمن ومؤمنة حارساً على عينيه بحيث يحاسِب المرء نفسه إذا أطلق بصره فيما حرم الله تعالى، وما يمنعه إلا تَذَكُّرُ قوله تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾.

هناك دراسة أجريت في بلد مُلْحِدٍ أشارت إلى أن أكثر من نصف واقعات الزنا كان سببها إطلاق النظر إلى المحرمات.

كل الحوادث مبدأها من النظر ... ومعظم النار من مستصغر الشرر
كم نظرة فتكت في قلب صاحبها ... فتك السهام بلا قوس ولا وتر
والعبد ما دام ذا عين يقلِّبها ... في أعين الغِيدِ موقوف على الخطر
يَسُرُّ مُقْلَتَه ما ضَرَّ مُهْجَتَه ... لا مرحباً بسرور عاد بالضرر

فليس لأحد منا أن يتهاون إذا كان ضيفاً على آخرين، أو إذا كان مضيفاً على الآخرين بإطلاق بصره وإن الله عز وجل سائل كلاً منا عما هو ناظرٌ إليه.

ذُكِرَ عن أحد الصالحين أنه كان يمشي في الطريق فأطلق بصره إلى المحرمات فما وجد نفسه إلا وقد اصطدم بجدار في وجهه، وسمع كأن هاتفاً يهتف به: نظرة بِلَطمَةٍ.

المرتدي لِلِّباس الأبيض إذا وقفت عليه ذبابة رؤيت، أما صاحب اللباس الأسود فلو وقفت عليه عشر ذبابات لما ضَرَّهُ ذلك والصالحون هم أصحاب اللباس الأبيض فإذا كنت من الصالحين يمكن أن تحاسب مباشرة، وإذا حوسبت فاحمد الله أن كان حسابك في الدنيا قبل الآخرة.

من واجب كل ضيف نزل على الناس وألقى بأثقاله على الناس أن لا يلقي أوزاره عليهم، وإن الله عز وجل سائل هذا الضيف: هل حفظت بصرك أم لم تحفظه؟

كلامنا هذا خاص بالرجال ومُشْتَرَكٌ مع النساء قال تعالى: ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ﴾ [النور: 31] فليس لك يا أيتها المرأة وقد نزلتِ ضيفةً مع عائلتك على أسرة أن تُطْلِقي

بصرك إلى رجل أو إلى صاحب هذا الدار بِحُجة أنه بمقام الأب أو الأخ أو الابن، وكم من مشكلة حدثت كان سببها هو النظر.

2- اجتناب الاختلاط بين الرجال والنساء بقدر المستطاع:

وهذا الأمر يعيننا على غض البصر فإذا اضطررنا أن نكون ضيوفاً عند أحد فليكن الرجال في معزل والنساء في معزل، وليس صحيحاً أبداً أن يختلط رجال ونساء مع بعضهم البعض في مكان واحد لِتَعْلُو أصواتهم وضحكاتهم حيناً ويشكو بعضهم إلى بعض حيناً آخر.

عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: **كُنْتُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعِنْدَهُ مَيْمُونَةُ، فَأَقْبَلَ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ وَذَلِكَ بَعْدَ أَنْ أُمِرْنَا بِالْحِجَابِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «احْتَجِبَا مِنْهُ»، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَيْسَ أَعْمَى لَا يُبْصِرُنَا، وَلَا يَعْرِفُنَا؟ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَفَعَمْيَاوَانِ أَنْتُمَا، أَلَسْتُمَا تُبْصِرَانِهِ»** [أبو داود].

مهما استطعنا أن نجتنب الاختلاط فلنفعل فهذا أسلم للقلب وأهدأ للبال وأريح للإيمان وهو واجب على كل ضيف ومضيف.

عن عديّ بن ثابت رضي الله عنه: **أن امرأة من الأنصار، قالت: يا رسول الله، إني أكون في منزلي على الحال التي لا أحب أن يراني أحد عليها، والد ولا ولد، وأنه لا يزال يدخل عليَّ رجل من أهلي، وأنا على تلك الحال؟ قال: فنزلت:** ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا . . .﴾ [تفسير الطبري].

بحث الفقهاء مسألة في الاستئذان فقالوا:

أ. من استأذن في الدخول إلى الدار فعليه أن يقرع الباب مرة وينتظر فإن لم يفتح يقرع الثانية وينتظر ثم يقرع الثالثة وفي كل مرة ينتظر بمقدار ركعتين فإن لم يفتح أحد رجع.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ * فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [النور: 27-28].

ب. المستأذن يقف عن يمين الباب أو عن يساره ويبتعد عن الباب ولا يقف قُبَالَتَهُ، وله أن يعطي ظهره للباب.

عَنْ هُزَيْلٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: **جَاءَ رَجُلٌ، فَوَقَفَ عَلَى بَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْتَأْذِنُ، فَقَامَ عَلَى الْبَابِ –مُسْتَقْبِلَ الْبَابِ– فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:** «هَكَذَا –عَنْكَ– أَوْ هَكَذَا، فَإِنَّمَا الِاسْتِئْذَانُ مِنَ النَّظَرِ» [أبو داود].

3– طَلَبُ الاستئذان قبل الدخول والتنقل بين غرفة وأخرى:

من الصحيح أن صاحب الدار أنزلك ضيفاً في داره لكن هذا لا يمنعك أن تطلب إذناً كلما أردت دخولاً أو خروجاً، من قرْعِ بابٍ أو رَفْعِ صوت أو تنحنح.

– استأذن حتى لو كنت في بيت أقرب الناس إليك.

عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ **أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَأَلَهُ رَجُلٌ، فَقَالَ: أَسْتَأْذِنُ يَا رَسُولَ اللهِ عَلَى أُمِّي؟ فَقَالَ:** «نَعَمْ»، **فَقَالَ: إِنِّي مَعَهَا فِي الْبَيْتِ، فَقَالَ:** «اسْتَأْذِنْ عَلَيْهَا»، **فَقَالَ الرَّجُلُ: إِنِّي خَادِمُهَا، فَقَالَ:** «أَتُحِبُّ أَنْ تَرَاهَا عُرْيَانَةً؟» **قَالَ: لَا، قَالَ:** «فَاسْتَأْذِنْ عَلَيْهَا» [البيهقي ومالك في الموطأ].

– إذا استأذنت وقيل لك: من على الباب؟ فلا تقل: أنا.. وقل اسمك لِتُعْرَفَ به.

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: **أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي دَيْنٍ كَانَ عَلَى أَبِي، فَدَقَقْتُ البَابَ، فَقَالَ:** «مَنْ ذَا» **فَقُلْتُ: أَنَا، فَقَالَ:** «أَنَا أَنَا» **كَأَنَّهُ كَرِهَهَا** [البخاري ومسلم].

– الأصل في الاستئذان أن يكون باللفظ وأصله أن تقول: السلام عليكم.. أأدخل، ويَصِحُّ بأي قول أو فعل يُشْعِرُ بطلب الإذن كالتنحنح، أو النداء، أو قرع الباب وانتظار الإذن بالدخول.

4– التزام الجميع باللباس الشرعي الساتر:

لعل أهل الأرياف تدربوا على شيء جميل ما اعتاد عليه أهل المدينة بحكم استقلال كل منهم في دار خاصة، فاعتادوا على زيارتهم لبعضهم البعض ودخولهم على بعضهم البعض فترى المرأة في معظم نهارها في لباس محتشم؛ لأنها تتوقع في أي لحظة أن يدخل زائر ليُحَدِّثَ زوجَها من قريب أو غريب.

وما دمنا اليوم في أزمة فيطلب منا أن تبقى المرأة ما استطاعت في لباس محتشم ساتر ولا تَظُنَّنَّ نفسها أنها جالسة في بيتها الخاص وفي حالة من الراحة والسكينة والطمأنينة بحيث أن تلقي عنها ثيابها بشكل غير لائق.

والأمر نفسه بالنسبة للرجال مع بعضهم البعض وبعيداً عن العورة التي بين السرة والركبة فمن غير اللائق من الرجل أن يظهر صدره أو ذراعه في مَحْفَلٍ بين الناس.

عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ حَيْدَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: **قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ عَوْرَاتُنَا مَا نَأْتِي مِنْهَا وَمَا نَذَرُ؟ قَالَ: «احْفَظْ عَوْرَتَكَ إِلَّا مِنْ زَوْجَتِكَ أَوْ مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِذَا كَانَ القَوْمُ بَعْضُهُمْ فِي بَعْضٍ؟ قَالَ: «إِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ لَا يَرَاهَا أَحَدٌ فَلَا تُرِينَّهَا»، قَالَ: قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ إِذَا كَانَ أَحَدُنَا خَالِيًا؟ قَالَ: «فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ يُسْتَحْيَا مِنْهُ مِنَ النَّاسِ»** [الترمذي وأبو داود].

5- اجتناب الخلوة:

فلا يَصِحُّ لرجل أن يَخْلُوَ بامرأة أجنبية، والمرأة الأجنبية كل امرأة يحل لك أن تتزوجها.

عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«إِيَّاكُمْ وَالدُّخُولَ عَلَى النِّسَاءِ» فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَرَأَيْتَ الحَمْوَ؟ قَالَ: «الحَمْوُ المَوْتُ»** [البخاري ومسلم].

الحَمْوُ: أقارب الزوج من غير المَحَارم كالأخ والعم والخال وأبنائهم.

عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: **خَطَبَنَا عُمَرُ بِالجَابِيَةِ فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي قُمْتُ فِيكُمْ كَمَقَامِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِينَا فَقَالَ: «...أَلَا لَا يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلَّا كَانَ ثَالِثَهُمَا الشَّيْطَانُ»** [الترمذي].

فيَحْرُمُ أن يبقى رجل مع امرأة وهما غريبان عن بعضهما البعض لوحدهما، وإذا وجدت نفسك في البيت وحدك مع امرأة فاخرج من البيت ولا تبْقَ فيه، فإن لم يخرج الرجل من البيت فاخرجي مع زوجك أو إلى المسجد أو إلى المكتبة أو إلى مركز عام، ولا مانع إذا وجدنا ضيفاً لا ينضبط بآداب الشرع أن نقول له: على جميع الرجال أن يخرجوا صباحاً من البيت حتى لو أخذ على خاطره من هذا الكلام فالشرع شرع.

وصلَّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

والحمد لله رب العالمين.